

الأربعون العقدية

الحديث السادس عشر

البشارة

بشرح حديث الإشارة

كُتِبَ:
أبْنُ إِسْرَائِيلَ

***** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *****

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يَضَلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ "

(آل عمران: 102)

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا " (النساء: 1)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {70} يُضَاهِجْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " (الأحراب: 70 : 71)

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها. وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

***نص حديث الباب :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: " رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْرَأُ هَذِهِ آيَةَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ، إِنَّ اللَّهَ نَعِمًا يَعِظُكُمْ بِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿ النساء/58 ﴾ ، وَيَضَعُ إِهْمَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ .

***تخريج الحديث :**

أخرجه أبو داود (4728) باب : في الجهمية ، وقال : « وَهَذَا رَدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ » ، وابن خزيمة في التوحيد(ص/42) ، وابن حبان (265) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص/209) والحاكم (2925) ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على

شرط مسلم ، ووافقه الذهبي.
وقال ابن حجر : أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم .
وقال اللالكائي: وهو إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخرجه. ¹

* جملة من الفوائد المهمة :-

1- الأولى :

في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

فهذه الآية تشمل على إثبات إسمين من أسماء الله الحسنى ، كما قال تعالى (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف/180)
وهما : السميع والبصير .

فوائد تعلق بمعتقد أهل السنة في أسماء الله تعالى :

1- الأولى :

- أسماء الله تعالى - ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع والنظر :

قال تعالى (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22)
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (الحشر/24)

*وكذلك الصفات ثابتة لله عزوجل :

1- قال تعالى (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) {النحل: 60}

قال القرطبي: وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ: أي الوصف الأعلى.

وقال ابن كثير: (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) : وهو كل صفة كمال؛ وكل كمال في الوجود
فإنه أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصاً بوجه. ²

وقوله (الأعلى) صيغة أفعال التفضيل، أي أعلى من غيره ، وهذا إنما يدل على أن
الكمال المطلق في أي صفة من صفات الكمال فهو الله سبحانه وتعالى.

2- وقال تعالى (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن/27)

¹ قال في " أنيس الساري " : إسناده صحيح ، إلا أن مسلماً لم يُخرج رواية أبي عبد الرحمن

المقرئ عن حرمة بن عمران ، ولا رواية حرمة بن عمران عن سليم بن جبير .

وانظر فتح الباري (528/13) وأنيس الساري في تخريج أحاديث فتح الباري(3/1822)

والسلسلة الصحيحة تحت الحديث (3081)

² الجامع لأحكام القرآن(10/119) وتفسير القرآن العظيم ()

وقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات/ 58)

وقال تعالى: (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ الْعَفُورُ
الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ (16)) (البروج/16)
ووجه الشاهد من هذه الآيات على إثبات الصفات في قوله تعالى (ذو الجلال..)
وقوله (ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)
وجه الدلالة :

القاعدة : " الأصل في الكلام التأسيس لا التأكيد " ، والمعنى أن ذكر قوله تعالى
" ذو القوة " يضيف معنى جديداً عن قوله " القوى " ، فالأول يعطى معنى صفة لله
تعالى ، وأما الثانى فإنما يُراد به الاسم ، فتغير بنية الكلمة يؤسس معنى جديداً ، ولا
يؤكد على نفس المعنى .

***وأما دليل السنة على إثبات الأسماء و الصفات :**

عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:
" إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ " 3

*وعن بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ:
" سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ:
"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" ، قَالَ: فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ
أُعْطِيَ . 4

* عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعَثَ
رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَفْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ بِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فَلَمَّا
رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ
يَصْنَعُ ذَلِكَ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ؛ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحْبَبُّهُ أَنْ اللَّهُ يُحِبُّهُ . 5
* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ الْيَهُودَ جَاءَتْ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
اللَّهُ الصَّمَدُ " 6

3 أخرجه مسلم(2677) والترمذي (3508)

4 أخرجه الترمذي (3475) وأبو داود (1494) وصححه الألباني.

5 متفق عليه.

6 رواه أحمد (21219) والواحدي في "أسباب النزول" (262) والترمذي (3364) ، والبيهقي
في "الأسماء والصفات" رقم (608) ، وابن حزيمة في "التوحيد" (45) ، الدارمي في
"الرد على الجهمية" رقم (28) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، والحاكم (3987)

*وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَعْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ " 7.

ووجه الدلالة من ذلك :

أن أيوب -عليه السلام- قد أقسم بصفة من صفات الله تعالى ، ومعلوم بالنص والإجماع حرمة القسم إلا بالله تعالى ، فدل ذلك أن صفاته -تعالى- منه ، وقائمة به تعالى .

*وأما الإجماع :

فقد أجمع أهل السنة على إثبات الأسماء والصفات لله - تعالى - على ما يليق به (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشوري/11) قال ابن عبد البر :

أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك ولا يحدثون فيه صفة محصورة 8.

*ومن العقل من وجهين :

*الأول:

" كل صفة كمال اتصف بها المخلوق فالله - سبحانه وتعالى - أولى بالاتصاف بها، وأن كل صفة نقص هي عيب في المخلوق فالله - سبحانه وتعالى - منزه عنها من باب أولى " . وهذا هو قياس الأولى، فإذا كان الإنسان يُمدح بأن له صفات كمال - على ما يليق به- وهو مخلوق ، فمن باب أولى أن يُوصف الخالق -سبحانه - بصفات الكمال كلها 9.

*الثاني :

وقال :هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ،وحسن الحافظ إسناده في الفتح (13/ 356) , وحسنه الألباني في "صحيح سنن الترمذي (268).

7 أخرجه البخاري(3391)وأحمد(10638)

8 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(351/3)

9 تنبيه :

قولنا " كل صفة كمال اتصف بها المخلوق فالله أولى بالاتصاف بها..،فهذا متعلق بصفات الكمال المطلق ،كالعزة والقوة والحكمة ، لا الكمال النسبي ، كصفة الولد -مثلاً- صفة كمال في المخلوق، وهي نقص في الخالق.وكذا يقال في صفات : النوم والطعام. وكذلك قولنا "و كل صفة نقص في المخلوق فالله منزه عنها من باب أولى " فهذا متعلق أيضاً بصفات النقص المطلق ، كالعجز و الفقر ، لا الكمال النسبي ، كصفة الكبر -مثلاً- فهي صفة كمال لله تعالى، وصفة نقص من ناحية الشرع في حق المخلوق .

أن الذي لا وصف له هو المعدوم ، ومن ثم فإن نفاة صفات الله -تعالى - إنما في الحقيقة يعبدون عدماً.

لذا فهم في الحقيقة لم يثبتوا خالقاً، فقولهم :

بأن الله -تعالى - لا يعلم ، ولا يتكلم، ولا يسمع، ولا يرى، وليس له يد، وليس له وجه ، ولا قدرة ولا إرادة وليس فوق السماوات ولا تحتها ، وقولهم بنفى جميع الأسماء والصفات عن الله -تعالى - هذا في الحقيقة ما أفاد شيئاً؛ لأنه لا يوجد شيء مسلوب الأسماء والصفات لا اعدم ، فكل موجود لا بد من صفات حتى الجماد، لذا فقد آل الأمر بالمعطلة النفاة إلى أن صاروا يعبدون عدماً، ولا يثبتون خالقاً.

فالجهمية النفاة غالوا في التنزية فعبدوا عدماً ، والمقاتلية والرافضة المجسمة غالوا في التشبية فعبدوا صنماً .¹⁰

وأهل السنة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، بل هم أسعد الناس بقوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } .

قال أبو يوسف القاضي:

صنفان ما على وجه الأرض شر منهما : الجهمية والمقاتلية .¹¹

2-الثانية : أسماء الله حسنى :

قال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} الآية. فأخبر الله -تعالى - أن له الأسماء وأنها حسنى .

وإنما سُميت بذلك لأنها دالة على معانى الحسن والجمال والجلال و العظمة ، والحسنى: أي: البالغة في الحُسن أعلاه، لا شيء أحسن منها، فالحسنى هي:

المتناهية في الحُسن، فكلُّ أسماء الله حسنى .

فكل اسم يتضمن صفة حسن و عظمة ، فكل اسم من أسمائه -تعالى - يدل على الذات المسماة ، وعلى الصفة التي تضمنها الاسم ، كالعليم يدل على الذات والعلم ، والقدير يدل على الذات والقدرة ، والرحيم يدل على الذات والرحمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

الله - سبحانه - له الأسماء الحسنى كما سمى نفسه بذلك وأنزل به كتبه وعلمه من شاء من خلقه، كاسمه الحيِّ والعليم والرحيم والحكيم والأول والآخر والعلِّيِّ والعظيم والكبير ونحو ذلك ، وهذه الأسماء كلها أسماء مدح وحمد تدل على ما

¹⁰ والمقاتلية : أتباع مقاتل بن سليمان البلخي ، فإنه رماه أبو حنيفة بالتشبيه فقال :

أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء ، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه .

قال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان يشبهه الرب بال مخلوق . وكذَّبه وكيع وغيره . قال وكيع: مات مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة.

¹¹ السنة لعبد الله بن أحمد(1/108).

يحمد به ، ولا يكون معناها مذموماً¹² .
*وقد خالف في هذا المعتزلة الذين جعلوا أسماء الله -تعالى- جامدة وليست مشتقة ،
والمعنى أنهم قالوا أن أسماء الله -تعالى- ليست دالة على أوصاف ومعاني الله
تعالى ، فقالوا : لفظ الجلالة " الله " مجرد علم يدل على ذات الله عزوجل ، وليس
علماً متضمناً لمعاني الكمال والعظمة .
وقالوا : سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ، فجعلوا دلالة الأسماء مقصورة على
الذات فقط دون الصفة¹³ .
*وفعل المعتزلة هذا إنما يعد من الإلحاد في أسماء الله ، فإن الإلحاد في الأسماء
الحسنى له عذّة معانٍ منها :

النوع الأول:

جُحودها ونفيها كما نفتها الجهميّة.

وهذا أعظم الإلحاد فيها، فالذي يقول: "إن الله ليس له أسماء، لأنّ الأسماء موجودة
في المخلوقين، فإذا أثبتناها صار تشبيهاً".
فهذا جاحدٌ لأسماء الله، ملجِدٌ فيها- والعيادُ بالله- أعظم الإلحاد، وهذا كُفْرٌ بالله عزّ
وجلّ.

النوع الثاني:

تأويلها عما دلّت عليه، كما فعلت المعتزلة فإنهم يُثبتون الأسماء ولكنهم ينفون
معانيها وما تدل عليه من الصفات ، فالذي لا يُثبِتُ الصفات مُلحدٌ في أسماء الله،
لأنّه جحد معانيها، وجعلها ألفاظاً مجردة لا تدلّ على شيء¹⁴.

(3) الثالثة :

أسماء الله -تعالى- -توقيفية :

وهذا الذي عليه الجمهور من أهل السنة والجماعة ، أن أسماء الله -تعالى- لا تُعرف
لا بما ورد به الأثر الصحيح .
فلا نثبت لله -تعالى- اسماً إلا بدليل من كتاب أو سنة ، ومن أدلة ذلك :
أ (قال تعالى (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

¹² بيان تلبيس الجهمية (298/3)

¹³ وبذلك فالمعتزلة جعلوا أسماء الله -تعالى- في منزلة أسماء البشر، يراد بها الدلالة على الذات
فقط دون الوصف ، فقد يسمّى الشخص محمداً وهو من أشد الناس ذمّاً، وقد يسمّى عبد الله
وهو من أسوء الناس . وتتخلص شبهة القوم في إنكار صفات الله -عزوجل-في زعمهم أن
اتصافه - تعالى- بالصفات يلزم منه إثبات التعدد، لهذا نفوا عن الله -تعالى- سائر الصفات
وسمّوا لذلك أنفسهم أهل التوحيد، ومرادهم بذلك أنهم هم الذين حققوا وصف الله بالواحد بنفي
الصفات .

¹⁴ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد(554/1)

بِالْغَيْبِ) (البقرة 3/)

فأصل من أصول الإيمان هو الإيمان بالغيب ، ومن الإيمان بالغيب أن نؤمن بمجمله دون الخوض فيما لا نعلم ، وأسماء الله -تعالى- من هذا الباب الغيبي الذي لا سبيل للعلم به إلا بوحى .

ب) قوله تعالى (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)

فقوله :الأسماء : (الـ) هذه تسمى العهدية ، أي التي تعهدونها ، ونحن لا نعهد من الأسماء إلا ما جاء به الشرع .

كما أن قوله سبحانه وتعالى: { فَادْعُوهُ بِهَا } يعني ادعوا الله بأسمائه التي سمى بها نفسه أو سمّاه بها رسوله ، ففيه دليل على أن أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية. فمن ادّعى أن الله -تعالى- من أسمائه اسم كذا... فعليه الدليل ، وإلا دخل في قوله تعالى " إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (68) وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (يونس /68)

وقوله تعالى " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ " (الإسراء/36).

فتسمية الله بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى ، فوجب سلوك الأدب في ذلك .

والتوقيف في أسماء الله - تعالى- يقتضى ألا نسميه -تعالى- إلا بما ورد به النص ، فإنه يُسَمَّى جَوَادًا وَلَا يُسَمَّى سَخِيًّا ، وإن كان في معنى الجواد ، وَيُسَمَّى رَجِيمًا وَلَا يُسَمَّى رَقِيقًا ، وَيُسَمَّى عَالِمًا وَلَا يُسَمَّى عَاقِلًا .¹⁵
قال ابن حزم:

ونرد على من أقدم على أن يسمي الله - تعالى - بغير نص ، فنقول :

لا تتعد ما جاء به النص .¹⁶

وقال أبو القاسم القشيري:

الأسماء تؤخذ توقيفياً من الكتاب والسنة والإجماع ، فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز، ولو صح معناه .¹⁷

***ومن النظر :**

فمن المعلوم أنه لا يجوز تسمية الرسول -صلى الله عليه وسلم- بما ليس من أسمائه ، وكذا كل كبير من الخلق ، فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله

¹⁵ لباب التأويل في معاني التنزيل (276/2) وتفسير القرآن للسمعي (235/2) والقواعد المثلى (ص/13)

¹⁶ الفصل والملل (421/1) وممن نص على ذلك من الأئمة: السجزي في رسالته إلى أهل

زبيد(ص/122) وقوام السنة الأصبهاني في " الحجة في بيان المحجة " (383/2)

¹⁷ شرح الكوكب المنير(288/1)

وأبو القاسم القشيري هو عبد الكريم بن هوازن النيسابوري الشافعي، الملقب بـ "زين الإسلام" ، قال ابن السبكي: "كان فقيهاً بارعاً، أصولياً محققاً ، متكلماً سنياً، محدثاً حافظاً، مفسراً متقناً ، نحويًا لغويًا أديباً . أشهر كتبه " التفسير الكبير " و "الرسالة" وغيرها. توفي سنة 465هـ.

انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي (153 /5)

تعالى أولى . 18

قال السفاريني :

" والحق أن أسمائه توقيفية *** ولنا بذا أدلة وفيّة " 19

*وقد عدّ العلماء أن من أنواع الإلحاد التي حذر الله -تعالى - منها في قوله تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } أن يدخل فيها ما ليس منها. لأن القاعدة في أسماء الله: " أن لا يُسمّى إلا بما سمّى به نفسه، أو سمّاه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فما لم يسم الله به نفسه ولم يسمه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يجوز أن يُطلق على الله تعالى .

*** تشبيه :**

إذا كانت الأسماء والصفات لا بد أن تكون توقيفية وأن تكون حسنى ، فمثل هذا مما يُغتنر في مقام الإخبار عن الله تعالى .
فالإخبار لا يشترط فيها الحسن، ولكن يشترط ألا تنزل إلى مرتبة السوء والنقص ، ومثال ذلك : قولنا - مثلاً - " حرّم الشارع شرب الخمر " ، فالشارع هنا ليس اسماً لله -تعالى- ولا صفة ؛ فإنه لا حُسن فيه ، وإنما هو خبر عن الله تعالى.

***ولهذا نظائر في الكتاب والسنة :**

قوله تعالى (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)
ففي الآية جاء السؤال : أى شيء ؟؟ ، وجاء الجواب : قل الله ...
كذلك في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا شَخْصَ أُغَيِّرُ مِنَ اللهِ " 20
، فقد أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله -تعالى- بلفظ " شخص " .
وعن أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
" يُؤَدِّنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الأَمْرُ أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " 21 .
فالدهر ليس اسماً لله -تعالى- ولا صفة له ؛ وذلك لأمرين :-
1- أنه لا حُسن فيه من كل وجه.

2- أنه قد ورد في نص الحديث قوله تعالى :

" وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الأَمْرُ أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ "

قال الله "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" فتبين أن معنى أن الله -تعالى- هو الدهر أي : أن الله هو المتصرف في أمور الدهر.

*** يؤيده :**

قوله تعالى " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ " (الجاثية/24) ، فلو كان الدهر اسماً من أسماء الله -تعالى- لما كفر الدهريون .

18 شرح الكوكب المنير(1/289)والمقصد الأسنى (ص/109)

19 لوامع الأنوار البهية(ص/124)

20 أخرجه مسلم (1499)

21 متفق عليه.

* وعليه فالقاعدة : " يُغْتَفَرُ فِي بَابِ الْأَخْبَارِ مَا لَا يُغْتَفَرُ فِي غَيْرِهِ " قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يدعى الله به من الأسماء الحسنى، وبين ما يخبر به عنه وجل مما هو حق ثابت، لإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال، ونفي ما تنزه عنه عز وجل من العيوب والنقائص، فإنه الملك القدوس السلام، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقال تعالى {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه} [الأعراف: 180] مع قوله {قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم} [الأنعام: 19] ، ولا يقال في الدعاء: يا شيء . 22

قال ابن القيم :

ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي ، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفاً ، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه . 23

فروع: - كم عدد أسماء الله تعالى؟

الصحيح في هذه المسألة أن أسماء الله -تعالى- لا تحصر بعدد معين، بل لله -تعالى- أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده ، لا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وهذا قول جماهير العلماء وقد اتفق سلف الأمة و أئمتها على هذا ، وقد نقل النووي اتفاق العلماء على هذا . 24

ومن أدلة ذلك :-

1) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَتُورَ بَصْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا" . 25

وبهذا الحديث قد استدلل الخطابى وابن كثير وابن القيم وغيرهم على أن أسماء الله -تعالى- لا

22 درء تعارض العقل والنقل(1/298)والنهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى (ص/33)

23 بدائع الفوائد (1/145)

24 مجموع الفتاوى (22/482)وشرح النووي على مسلم(9/5)

25 أخرجه أحمد(3712) والحاكم (1877) وصححه، وصححه ابن القيم في شفاء العليل (ص/ 274) والألباني في السلسلة الصحيحة (1/336) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

حصر ، فقوله " أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ " :
دليل على أن أسماء أكثر من تسعة وتسعين ، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم
الغيب عنده ، لا يعلمها غيره . 26

(2) وروي الشيخان من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضى الله عنه- في حديث الشفاعة
الطويل : يَقُولُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ : يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا " قَالَ :
" فَأَقُولُ : نَعَمْ ، فَأَتِي بَابَ الْجَنَّةِ ، فَأَخُذُ بِحُلْقَةِ الْبَابِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيُقَالُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ :
مُحَمَّدٌ فَيُفْتَحُ لِي فَأَخِرُّ سَاجِدًا ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي ، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا
أَحَدٌ كَانَ بَعْدِي ، فَيَقُولُ : ازْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ مِنْكَ ، وَسَلْ تُعْطَى ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ ،
فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي " . 27

ففي قوله صلى الله عليه وسلم : " فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي " ،
وفي رواية " فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدِ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ ، يُلْهِمْنِيهِ اللَّهُ "
دلالة أنه صلى الله عليه وسلم يتعلم تلك المحامد يوم القيامة .

(3) عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ :

فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى
بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ :
«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عِقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ،
لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» . 28

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فإذا كان أفضل الخلق لا يحصي ثناء عليه ولا يعرف الآن محامده التي يحمد بها عند السجود
للشفاعة ؛ فكيف يكون غيره عارفاً بجميع محامد الله والثناء عليه ، وكل ما له من الأسماء
الحسنى فإنه داخل في محامده . 29

*ومن النظر :

26 شفاء العليل (ص/277)

27 متفق عليه .

28 أخرجه مسلم (486) والترمذي (3493)

29 مجموع الفتاوى (574/7)

كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى ، ولا شيء أعظم من الله -تعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى .

* إشكال والجواب عليه:

- عن أبي هريرة -رضى الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ " ³⁰

استدل البعض بهذا الحديث على حصر أسماء الله -تعالى- في هذا العدد فقط ؟؟ ³¹

* والجواب :

أن هذا الحديث لم يسق لحصر أسماء الله -تعالى- في هذا العدد ، وإنما سيق لبيان مسألة مهمة وهي تفاضل أسماء الله تعالى .

والمعنى أن الله -تعالى- كما فاضل بين خلقه ورسله -عليهم السلام- فقال عزوجل (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) (البقرة/253) فكذلك فقد فاضل الله -تعالى- بين أسماء وصفاته ، ولهذا أدلة كثيرة ³² ،

ومنها هذا الحديث ، فقد أفاد أن الله -تعالى- مع كثرة أسماءه التي لا حصر لها قد جعل لهذه الأسماء خاصة مميّزة ليست في غيرها من سائر الأسماء ألا وهي أن من أحصاها دخل الجنة .

قال الخطابي :

قوله صلى الله عليه وسلم "إن لله تسعة وتسعين اسماً" : فيه إثبات هذه الأسماء المحصورة

³⁰ أخرجه مسلم(2677) والترمذي(3508)

³¹ وقد ذهب ابن قدامة في كتابه (المناظرة في القرآن الكريم) إلى أن أسماء الله -تعالى- تسعة وتسعين اسماً فقط ؛ وذلك لحديث (إن لله تسعاً وتسعين اسماً...) وأما ابن حزم فزعم أن من زاد شيئاً في الأسماء عن التسعة والتسعين فقد أُلحد في أسمائه، حيث قال - رحمه الله - " وقد صح أنها تسعة وتسعون اسماً فقط ، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد ؛ لأنه - عليه السلام - قال: «مائة غير واحد» ، فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم. (المحلي(30/1))

³² ومن ذلك قوله تعالى { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } ، وكذلك دعائه صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك " ، فالرضا والسخط صفتان لله - تعالى - وقد فاضل بينهما الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يا أبا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَكْبَرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } (أخرجه مسلم)

بحد العدد، وليس فيه نفي ما عداها من الزيادة عليها، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء؛ لأنها أشهر الأسماء، وأبينها معاني وأظهرها، وجملة قوله: "إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة" قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الفائدة في خبر "إن" في قوله: "من أحصاها دخل الجنة"، لا في قوله: "تسعة وتسعين اسماً"، وإنما هو بمنزلة قولك: إن لزيد ألف درهم أعدتها للصدقة. وكقولك: إن لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه. وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب، وإنما دلالتة: أن الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم، وأن الذي أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب .³³

*** أضف إلى ذلك :**

أن لفظ الحديث أصالة لم يفد الحصر، ففارق بين قولك "أسماء الله تسعة وتسعون اسماً"، وهو ما قد يكون حجة لمن ادعى حصر الأسماء في هذا العدد، وقولك "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا..." وهو نص الحديث .

*** وهنا فوائد :**

(1) الأولى :

لم يصح حديث في تعيين أسماء الله -تعالى- الحسني، وقد ورد في رواية حديث "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا...." زيادة عند الترمذى وابن ماجه والحاكم فيها سرد هذه الأسماء على التفصيل، ولكن كل طرقها ضعيفة³⁴.

³³ ذكره في شأن الدعاء (ص/24) وقد ذكر مثله ابن القيم "فائدة جلييلة في قواعد الأسماء

الحسنى" (ص/40)

³⁴ تعيين هذه الأسماء إنما جاء في رواية الوليد بن مسلم عند الترمذى، وفي رواية زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عند ابن ماجه، وفي رواية عبد العزيز بن الحصين عن أيوب عن محمد بن سيرين عند الحاكم في المستدرک، وقد تكلم العلماء في هذه الطرق بما يوجب ضعفها سنداً ومنتأً.

*وأما رواية الترمذى في سرد هذه الأسماء فقد ضعفها ابن حزم وابن كثير والبيهقي وابن القيم، وذلك للاضطراب الشديد في متنها، من حيث الزيادة والنقص في الأسماء، كما أن في سندها الوليد بن مسلم وهو مدلس.

وقد قال الترمذى بعد روايتها : غريب، وقد روي من غير وجه، عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -. ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، =وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا، عن أبي هريرة، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس له إسناد صحيح .

قال ابن حجر :

وقد ساق الترمذي وابن حبان الأسماء، والتحقيق أن سردها إدراج من بعض الرواة .³⁵

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

لم يرد في تعيين التسعة والتسعين اسماً حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.³⁶

(2) الثانية :

معنى من أحصاها : ورد فيها أقوال وأرجحها أن أحصاها :

أي عدّها وحفظها وتعرّف على معانيها ، وأثنى على الله -تعالى- بها ، ودعاها بها ، و تعبد لله بمقتضاها . فإذا علمت أنه رحيم تتعرض لرحمته، وإذا علمت أنه غفور تتعرض لمغفرته، وإذا علمت أنه سميع اتقيت القول الذي يغضبه، وإذا علمت أنه بصير اجتنبت الفعل الذي لا يرضاه .³⁷

* ومما يدخل في معنى الإحصاء :

الاتصاف بما تضمنه أسماء الله -تعالى- من المعاني ، إلا ما خصه دليل التحريم . وهذا الأمر دل عليه ما ثبت من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال)³⁸ .

ومثال ذلك :

تعلم أن الله -عز وجل- رحيم كريم : فتكن أنت كذلك رحيماً كريماً .³⁹

* وأما رواية ابن ماجه (3861) فهي رواية ضعيفة لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني. قال الذهبي : ليس بحجة . قال ابن حجر : لين الحديث ، وقال ابن حبان : وكان يجيب فيما يسئل عنه ينفرد بالموضوعات ، لا يجوز الاحتجاج بروايته .

*أما رواية الحاكم ففي سندها العزيز بن حصين الترجمان ، قال البخاري: ليس بالقوي ، وقال مسلم وابن معين : ذاهب الحديث. وقال النسائي : متروك الحديث ، وضعفه ابن عدي . وقال الحافظ : أورد له العقيلي في الضعفاء " حديث الأسماء " وحديثاً آخر ، وقال : لا يتابع عليهما وكلاهما فيه لين واضطراب .

وانظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (669/1) وتهذيب التهذيب(512/3) المجروحين من المحدثين(138/2)ولسان الميزان(202/5)

³⁵ بلوغ المرام (ح/1382)

³⁶ الفتاوى الكبرى(2/380)

³⁷ القول المفيد شرح كتاب التوحيد(90/3)

³⁸ أخرجه مسلم (91)

³⁹ ويستثنى من ذلك الصفات التي اختص الله -تعالى- بها نفسه ، فجعلها -سبحانه- مما يحرم

على العبد أن يتصف بها : ومن ذلك صفات : الكبر والمن ، فالقائل سبحانه عن نفسه = {العزیزُ الجبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} [الحشر / 23] قد ذم من وُصف من بعض المخلوقين بأنه جبار

* فروع :

باب الصفات أوسع من باب الأسماء لأن ؛ لأن الصفات تتعلق بأفعال الله ، وأفعاله -
تعالى- لا حصر لها.

2- كل اسم ثبت لله -عز وجل- فهو متضمن لصفة ، ولا عكس .

فكل اسم يشتق منه صفة : اسم الرحمن يتضمن صفة الرحمة ، واسم العظيم يتضمن صفة
العظمة ،... وأما الصفات فلا يشتق منها أسماء لله تعالى : فصفات الإرادة مثلاً لا يشتق منها
صفة المرید ، وكذلك صفة الإستواء والإتيان والكتابة⁴⁰

قال ابن القيم :

وقد أخطأ - أقبح خطأ - من اشتق له من كل فعل اسماً ، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف ، فسمّاه
الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد ونحو ذلك، وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به،
فإنه يخبر عنه بأنه شيء، وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد، ولا يسمّى بذلك .⁴¹

* تقسيم الصفات :

تنقسم الصفات الإلهية إلى ثبوتية و سلبية :-

1- السلبية :- تبدأ ب (لا ، ما) ، ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) ، وقوله تعالى (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) ، وقوله تعالى (اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ)

وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ)⁴² ، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا

متكبر قال: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35)} [غافر / 35]

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : " قَالَ اللَّهُ - عز وجل - : العِزُّ إِزَارِي ، وَالْكَبْرِيَاءُ

رِدَائِي فَمَنْ نَارَعَ عَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُمَا عَدَبْتُهُ» (أخرجه مسلم (2620))

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ» «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَانُ، وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ» (أخرجه مسلم /106))

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

من أسمائه وصفاته ما يحمد العبد على الاتصاف به كالعلم والرحمة والحكمة وغير ذلك ، ومنها

ما يذم العبد على الاتصاف به كالإلهية والتجبر والتكبر. (الصفدية(2/338))

⁴⁰ بدائع الفوائد(1/162) وصفات الله في الكتاب والسنة (ص/22)

⁴¹ مدارج السالكين(3/348)

⁴² متفق عليه .

فمثل هذه الصفات السلبية نفيها عن الله -تعالى - مع إثبات كمال الضد ، وإنما يقال " مع إثبات كمال الضد " : لأن النفي المحض ليس بكمال ، ونظير ذلك قوله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) (فاطر/44) فقد نفي الله -تعالى- العجز عن نفسه وأثبت كمال قدرته ، وكذلك (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) فالله -تعالى- قد نفي عن نفسه - تعالى السنة والنوم لكمال قيوميته .

وكذلك يقال في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»⁴⁴

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وينبغي أن يُعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً ، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال ؛ لأن النفي المحض عدم محض .⁴⁵

* كذلك فالصفات السلبية تكون على الإجمال لا التفصيل ؛ لأن هذا هو الأدب مع الله - تعالى- والأبلغ في تعظيم الله ، أما الثبوتية فتكون على التفصيل، كما تجد بيان ذلك في آية الكرسي وأواخر سورة الحشر وفواتح سورة الحديد .

***ثانياً : الصفات الثبوتية : وهي تنقسم إلى (ذاتية - فعلية - خبرية)**

1- الصفات الذاتية :

وهي الصفات لا تنفك عن الله تبارك و تعالى، كالقدرة و العلم و العزة و العلو،... فلم يزل ولا يزال متصفاً بها سبحانه وتعالى . فمثل هذه الصفات لا يمكن أن تتعلق بالمشيئة.

⁴³ متفق عليه .

وإن كان البعض يتحرج من تسمية مثل هذا النوع من صفات الله بالسلبية ، ويقول نسميها المنفية ؛ لأن من معاني السلب : نزع الشيء على سبيل القهر، إلا أن هذا لا يمنع أن أحد معاني السلب النفي، وعليه فلا بأس أن نسميها سلبية ؛ فإنه هناك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وهي تقتضي النقص على بعض المعاني، والكمال على المعنى الآخر، فوصف الله بها نفسه على معنى الكمال، فإن جاز في ذلك، فهو فيما دونه أولى بالجواز .

⁴⁴ متفق عليه.

⁴⁵ مجموع الفتاوى (35/3)

2- الصفات الفعلية:

وهذه الصفات هي التي تتعلق بالمشيئة ، يفعلها عزوجل إذا شاء ، ولا يفعلها إذا شاء .
مثال: (الضحك - الإستواء - النزول - الغضب - الحجى - الإتيان - الكلام - الكتابة)
وضابطها " إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل "

3- الخبرية:

وهي الصفات التي مسمّاها عندنا أبعاض و أجزاء ، وهي لله -تعالى- صفات تليق بكماله و عظمته
مثال: (الساق - اليد - الوجه - الكف - الأنامل - الأصابع - القدم - الرجل)

* جملة من شبهات نفاة الصفات والرد عليها :

وقد ذهب المعتزلة إلى نفي الصفات بدعاوى باطلة ، سيأتى الرد عليها قريباً ، فلم يثبتوا من الصفات إلا ثلاثة فقط ، وهي من الصفات الذاتية :
" الحياة والعلم والقدرة " ، ولكنهم ما جعلوها معانٍ قائمة بذات الله تعالى ، بل هي صفات أزلية ملازمة للذات ، فجمهور المعتزلة يرون أن الله عالم بذاته، لا يعلم زائد على ذاته، وهكذا في سائر الصفات.⁴⁶
وأما الأسماء التي أثبتوها فقد جعلوها أسماءً جامدة لا تدل على أية معانٍ ، فقالوا سميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر ..

والقول المؤيد بالأدلة العقلية والنقلية أن صفات الله- تعالى - داخله في مسمى أسمائه، فمن استعاذ بصفة من صفات الله-عزوجل - أو حلف بها فإنما استعاذ بالله، وحلف به تعالى ، ويشهد لهذا الاستعاذة التي علمها النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته، كما في قوله:

"أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "أعوذ برضاك من سخطك" .⁴⁷

*كما أن إنكار الصفات يعد من الإلحاد في أسماء الله -تعالى - وصفاته .

قال ابن القيم في بيان أنواع الإلحاد في أسمائه وصفاته :

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجدد حقائقها ؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنَّها ألفاظٌ مجردةٌ لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به .

⁴⁶ ومنهم من قال " إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدره، وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته..." . والفرق بين هذا الرأي ورأي جمهور المعتزلة المذكور أعلاه :

أن جمهورهم رأى أن الله عالم بذاته لا بعلم ، فقد نفوا الصفة، أما القول الثانى فقد أثبت صفةً هي بعينها ذات" وانظر الملل والنحل (1/53) والتأويل في الصفا الإلهية (ص/169)

⁴⁷ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة (ص/343)

وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين ؛ فإن أولئك أعطوا أسمائه وصفاته لألتهم ، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجدوها وعطوها فكلاهما ملحدٌ في أسمائه .⁴⁸

***ومن شبهات نفاة الصفات :**

1-قالوا :

تعدد الصفات يلزم منه تعدد الذوات، فالقول بالتوحيد عندهم مستلزم لنفي الصفات!⁴⁹

***والجواب :**

1- أن الصفات في الحقيقة إنما هي معانٍ وأعراض قائمة بالذات ، وليست أعياناً قائمة بذاتها حتى يقال أنها إثباتها منافية لحقيقة التوحيد .
فإنما يصح قولكم إذا كانت الصفة عيناً قائمة بذاتها منفصلة عن يتصف بها .
وأنت ترى وتقبل أن تتعدد صفات المخلوق الواحد على ما فيه من ضعف وعجز ، فكيف لا تقبل ذلك في خالق هذا الشخص على كماله وعلو قدره سبحانه؟!؟! .

*وقد ضرب الإمام أحمد مثلاً بديعاً للرد عليهم فقال رحمه الله :
إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفته؟!
وضربنا لهم في ذلك مثلاً .

فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة؟ أليس لها جذع وكرب، وليف وسعف وخص
وجمار؟.. واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله، وله
المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد .⁵⁰

وقال رحمه الله :

وقد سمى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: {ذرني ومن خلقت وحيداً} ، وقد كان هذا الذي سمّاه الله وحيداً له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان، وجوارح كثيرة. قد سمّاه الله وحيداً بجميع صفاته. فكذلك الله، وله

⁴⁸ فائدة جلييلة في قواعد الأسماء الحسنی(ص/48)

⁴⁹ فالتوحيد هو أحد الأصول الخمسة للمعتزلة ، ومعناه عندهم لا يتحقق إلا بنفي الصفات ، ويعد واصل بن عطاء رأس المعتزلة في ذلك ،فهو من أصل وأسس للقول بنفي الصفات ، وكان يقول في إشارات منه إلى ذلك: "إن من أثبت لله معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين" .
وقد نص أبو الحسن الأشعري على أن المعتزلة لم تقدر أن تفصح بذلك خوفاً من السيف فأتت بمعناه، وقالت: إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية، من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر" . (الإبانة/143)

وحاصل هذا الإشكال عند المعتزلة زعمهم أنهم إذا أثبتوا أن الله -عز وجل - متصف بصفة زائدة على ذاته، فإن ذلك يستلزم أن تكون هذه الصفة قديمة، وهذا يؤدي إلى تعدد القدماء، وهو محال.

⁵⁰ الرد على الجهمية والزندقة (ص/283)

المثل الأعلى، هو بجميع صفاته إله واحد. 51

* وتأمل في قول أحمد :

" لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره".

فالصفة لا تضاف إلى الموصوف على سبيل العطف الذي يقتضى المغايرة ، وإنما

تضاف إليه من باب إضافة الصفة إلى موصوف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فلا يوجد في كلام الله ورسوله واللغة اسم الواحد على ما لا صفة له، فإن لا صفة له لا وجود له في الوجود. 52

وهذا كلام من شيخ الإسلام -رحمه الله- من الأهمية بمكان ومفاده أن إثبات الواحدانية لا يفيد شرعاً ولا لغةً نفي الصفات .

ولا يتصور بحال من الأحوال أن تخلوا ذات عن الصفات ، فالمعدوم هو الذى لا صفة له ، فلا بد إذا كانت الذات موجودة أن تكون موصوفة ولو بصفة الوجود فقط ، لهذا لا مفر للمعتزلة ولا غيرهم من أن يثبتوا ذاتاً موصوفة بالصفات.

وهم أثبتوا صفة الوجود الأزلي وهو ما يعبرون عنه بالقديم ، وهذه صفة للذات وليست هي الذات، فيلزمهم من ذلك قبول هذا الأصل الذى هو إن القول بالصفات لا ينافي القول بالتوحيد .

*** ثم نقول :**

قولكم أن إثبات الصفات لازمه تعدد الذوات لازم متناقض ؛ إذ أنكم قلتم بإثبات الأسماء لله تعالى ، فلم لم تقولوا أن تعدد الأسماء يلزم منه تعدد الذوات ؟

أليس هذا من التناقض البين؟! !!

فإما أن تخرجوا من هذا التناقض البين فتقولوا بنفي الأسماء وتلحقوا في ذلك بركب الجهمية ، وإما أن تقولوا بإثبات الأسماء وما يتبعها من إثبات الصفات وتنصوا تحت راية أهل السنة والأثر .

وشبهة المعتزلة هذه ولدت شبهة وبدعة أخرى، وهي:

*** هل الصفات هي الله - تعالى - أم غيره ؟**

والجواب :

أنه لا يقال أن الصفات غير الله تعالى ؛ لأنه يفهم من ذلك أن الصفات أعيان قائمة بذاتها منفصلة عن الله تعالى ، ولا يقال أن الصفات هي الله ؛ لأنه يفهم من ذلك نفيها بالكلية .

51 المصدر السابق (ص/284)

52 درء تعارض العقل والنقل (5/82)

فلا يقال هي الله ولا يقال غيره ، بل نقول : هي معانٍ قائمة بالله تعالى ، مضافة إليه - سبحانه - إضافة صفة إلى موصوف .

قال ابن القيم :

ليست صفاته وأسماءه غيره ، وليست هي نفس الإله ، فلفظة الغير يراد بهما معنيين : أحدهما المغاير لتلك الذات المسماة بالله ، وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الإعتبار فلا يكون إلا مخلوقاً ، ويراد به مغايرة الصفة للذات إذا خرجت عنها ، فإذا قيل علم الله وكلام الله غيره بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام كان المعنى صحيحاً ، ولكن الإطلاق باطل ، وإذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره كان باطلاً لفظاً ومعنى .⁵³

2- الشبهة الثانية :

قالوا : " القول بالصفات يلزم منه وصف الله بالجسمية "

***والرد عليهم من وجوه:**

***أولاً :**

هذا لازم باطل ؛ لأن هناك من الأشياء ما لها صفات وليست بجسم ، كقولك " الليل طويل " ، فالليل ليس له جسم ، ومع ذلك وُصف بالطول .

***ثانياً:**

أن لفظ الجسمية من الألفاظ المحدثه التي لم يقل به السلف ، وقد توقّف فيه أهل السنة والجماعة نفياً وإثباتاً ؛ حيث أنه لم يأت دليل يثبت ولا دليل ينفي .

***ثالثاً :**

إن كان إثبات الصفات البشرية على اختلافها يستلزم الجسمية فهذا مما ينتفى وقوعه في حق الخالق سبحانه ؛ فقد وصف الله -تعالى- نفسه بالسمع والبصر كما ورد في حديث الباب من قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)

، وقد وصف بعض الحوادث بالسمع والبصر ، قال: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} ، فالسمع والبصر لله -تعالى- حقيقان على ما يليق به سبحانه . وهما كذلك للمخلوق على ما يليق بعجزه وضعه .

وكذلك قد وصف الله -تعالى- نفسه بالحياة قال: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} ،

ووصف بعض المخلوقين بالحياة قال: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} ،

وحياة الله - تعالى- حياة حقيقية لائقة بكماله وجلاله. كما أن حياة المخلوق مناسبة لحاله وعجزه وفنائه .

*** رابعاً :**

من الجهل البين وصف أهل السنة بالمجسمة ، وهم يثبتون صفات الله -تعالى- على ما يليق به سبحانه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } ، ويقولون عن صفات الله - تعالى : المعنى غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان بها واجب ، والسؤال عنها بدعة ،وقد أجمعوا على تكفير من شبّه الله -تعالى - بخلقه ، فهل بعد ذلك يقال عنهم مجسمة؟!!!

فلو كان الانصاف منهجكم حقاً لكان الأولى بتهمة التجسيم أصحاب المعتقدات المنحرفة في عقيدتها ، كالهشامية وهم أتباع هشام بن الحكم الرافضي ، الذين زعموا أن معبودهم (جسم وله نهاية، وله حد، طوله كعرضه وعمقه) إلى آخر كلام طويل كله تشبيه وتجسيم. وهشام بن الحكم هو أول من أظهر إطلاق لفظ (التجسيم) من متكلمة الرافضة .

وتوجد هشامية أخرى أتباع هشام بن سالم الجواليقي، التي تزعم أن معبودها على صورة الإنسان ، وينكرون أن يكون لحماً ودماً، إلى آخر تلك الأوصاف الكفرية، فهما طائفتان جمعهما الإلحاد بالتشبيه والتجسيد وفرقتهما كيفية ذلك التشبيه والصورة. 54

***ومن الفوائد المهمة المتعلقة بحديث الباب :**

(1) الأولى :

أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قرأ في حديث الباب قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } [النساء/58] ، وَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ ، وَآلَتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ . وهذه الإشارة من النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها دلالة بيّنة واضحة على إثبات صفتي السمع والبصر لله - تعالى - على ما يليق به سبحانه . فليس السمع والبصر هما الذات أو العلم . وحديث الباب يدل على بطلان زعمهم إذ أنه لو كان الأمر كما قالوا لما أشار إلى محلي السمع والبصر . 55

***يؤيده :**

فهم رواة الحديث ، فلما قال أبو هريرة رضى الله عنه: «رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرؤها ويضع إصبعيه» ، قال عبد الله بن يزيد المقرئ -أحد رواة الحديث- يعني: إن الله سميع بصير، يعني أن الله سمعاً وبصراً . قال أبو داود: «وهذا رد على الجهمية» قال ابن القيم : قرأ النبي -صلى الله عليه وسلم - قوله تعالى {وكان الله سميعاً بصيراً} [النساء: 134] وضع إبهامه على أذنه وعينه رفعا لتوهم متوهم أن السمع والبصر غير

54 وانظر الفرق بين الفرق(ص/65)والموسوعة الميسرة(1011/2)

55 الأسماء والصفات للبيهقي (ص/209)والفصل في الملل (398/1)

العينين المعلومتين . 56

فدل هذا حديث الباب على ثبوت صفتي السمع والبصر لله - تعالى - حقيقة ، وبطلان تأويلهما بالعلم .

* وأدلة الكتاب و السنة طافحة بالتنصيص على هاتين الصفتين ، صفتي السمع والبصر ، ومنها حديث الباب .

كما نقل الإجماع عليهما شيخ الإسلام ابن تيمية وأبو الحسن الأشعري وابن بطّة العكبري وغيرهم كثير . 57

والعقل كذلك يثبتهما لله تعالى :

قال الغزالي :

وأما المسلك العقلي، فهو أن نقول : معلوم أن الخالق أكمل من المخلوق، ومعلوم أن البصير أكمل ممن لا يبصر، والسميع أكمل ممن لا يسمع، فيستحيل أن يثبت وصف الكمال للمخلوق ولا نثبتة للخالق. 58

وقد ذهب المعتزلة إلى القو بأن السمع والبصر ليست صفات قائمة بذاته تعالى . 59
قال الدارمي :

وَأدَّعى المريسي في قول الله تعالى {إن الله سميع بصير (75)} [الحج: 75]، {والله بصير بالعباد (15)} [آل عمران: 15]: أنه يسمع الأصوات، ويعرف الألوان، بلا سمع ولا بصر، وأن قوله: {بصير بالعباد (15)} يعني: عالم بهم، لا أنه يبصرهم ببصر، ولا ينظر إليهم بعين، فقد يقال لأعمى: ما أبصره ، أي: ما أعلمه، وإن كان لا يبصر بعين . 60

56 مختصر الصواعق المرسله (67/1)

57 مجموع الفتاوي (196/5) ورسالة إلى أهل الثغر (ص/127) والإبانه (557/1)

58 الاقتصاد في الاعتقاد (ص/72)

59 وقد اختلف قول المعتزلة في تأويل صفتي السمع والبصر بين البصريين أتباع الجبائي والبغداديين أتباع النظم ، فأما البصريون منهم فقالوا :

معنى أن الله سميع بصير، أى أنه حي لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع والمرئي إذا وجدا . قال أبو على الجبائي في نهاية الإقدام (ص/344): إنَّ الحى إذا سلمت نفسه عن الآفة سُمى سمعياً بصيراً .

وأما البغداديون فقالوا : أن الله تعالى لا يسمع، ولا يبصر شيئاً على الحقيقة ، وتأولوا وصفه بالسميع والبصير، على معنى العلم بالمسموعات والمرئيات . وانظر المنحة الإلهية في الصفات الربانية (ص/630)

60 النقض على بشر المريسي (ص/160)

وهو من أهم الكتب في الرد على أهل التعطيل للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة 280 هـ ، وله أيضاً كتاب "الرد على الجهمية" ، وهذان الكتابان هما اللذان قال عنهما الإمام ابن القيم :

كتابه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

قال ابن بطال :

غرضه في هذا الباب أن يرد على من يقول: إن معنى سميع بصير. معنى عليم لا غير؛ لأن كونه كذلك يوجب مساواته تعالى للأعمى والأصم الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، وأن في العالم أصواتاً ولا يسمعها .⁶¹

(2) الثانية :

جواز الإشارة في الصفات :

ورد في حديث الباب أن أبا هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ:
" رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَفْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } , إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ , إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا { [النساء/58] ، وَيَضَعُ إِلَيْهَا عَيْنَهُ ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ .

ففي هذا الحديث قد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - بالسبابة والإبهام إلى العين والأذن ، وليس ذلك لإثبات صفتي العين والأذن ، وإنما لإثبات صفتي السمع والبصر ، وهي من صفات الله الذاتية .⁶²

* وهنا السؤال : هل تُشعر الإشارة في أحاديث الصفات ؟؟

الصحيح أن الإشارة في أحاديث الصفات الإلهية إنما تكون بضوابط:

*الأول:

أن تكون الإشارة على سبيل التوقيف ، بمعنى أنها تكون فقط في الأحاديث التي وردت فيها الإشارة ، ومن ذلك ما يلي :

(1) عن ابنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أن رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:
" يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَسْطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ " ، قال ابن عمر :

حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمَنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ:
أَسَاقِطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟⁶³

(2) وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان مما قال في حَجَّةِ الْوَادِعِ :

يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جداً ، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما. انظر اجتماع الجيوش الإسلامية(1/348)
⁶¹ ذكره تعليقا على قول البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه : باب قوله تَعَالَى: (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) [النساء: 58]، وانظر شرح صحيح البخاري لابن بطال(10/416)
⁶² وأما صفة العين لله تعالى- في ثابتة له عزوجل بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وأما صفة الأذن فهذه مما نتوقف فيها لعدم ورود أدلة الشرع بإثباتها ولا نفيها .

⁶³ أخرجه مسلم (2788)

وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَادَّيْتِ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ ، وَيُنْكَتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . 64

(2) الضابط الثاني :

فقوله تعالى (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) وقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ، مع ما ورد في غير ما موضع من السنة من أحاديث الإشارة لا يدل إلا على حقيقة واحدة وهي أن المراد بالإشارة في أحاديث الصفات -ومنها حديث الباب -إنما هو إثبات المعنى، دون أن يتعلق ذلك بتشبيهه ولا تمثيل لصفات الله - تعالى- بشيء من خلقه . ومحل التمثيل فيها ما كان من نطقها، أما ما كان بالإشارة فلا يسمى تمثيلاً . والإشارة إلى ذلك يقصد بها تفهيم الناس معنى الصفة، ولا يقصد بها تشبيه ذلك بالمخلوق، فالتمثيل معناه:

ذكر المثل أو المثل، فالمثال منفي عن الله قطعاً ؛ لأنه لا مثل له، والمثل منه ما هو منفي، ومنه ما هو مثبت، فهو ينقسم إلى قسمين: الأول: مثل للتشبيه وهو منفي عنه قطعاً، والثاني: مثل للتفهم . 65

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وفي السنن عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قرأ على المنبر (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) ووضع إبهامه على أذنه وسبابته على عينه ، ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة ، لا تمثيل الخالق بالمخلوق . 66

ففي حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال:

دُكِرَ الدَّجَالُ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ عَيْنِهِ - وَإِنَّ الْمَسِيحَ

الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» . 67

3- الضابط الثالث :

أن نأمن على السامعين ألا يقعوا في فتنة التشبيه ، بحيث أنك إذا ما ذكرت أحاديث الإشارة عند البعض فقد يظن أن صفات الخالق تشابه صفات المخلوقين .

*فالقاعدة هنا : " ليس كل ما يُعرف يُقال "

وهي قاعدة مستنبطة من عدة أدلة شرعية :

64 أخرجه مسلم (1218)

65 سلسلة الأسماء والصفات للدودو (3 / 5)

66 شرح العقيدة الأصفهانية(ص/133)

67 أخرجه البخاري (7407)

منها حديث معاذ-رضى الله عنه- لما استأذن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يحدث بحديث فضل الشهادتين ، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيسنتبشروا؟ قال صلى الله عليه وسلم : «إِذَا تَبَشَّرُوا»⁶⁸

وقد بَوَّب البخاري لهذا الحديث بقوله: باب " مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا نُورًا قَوْمٌ، كَرَاهِيَةٌ أَنْ لَا يُفْهَمُوا" ، ثم ذكر تحته أيضاً قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه : (حَدَّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكْذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)⁶⁹

ثم ذكر بعده حديث معاذ-رضى الله عنه- السابق ، وإنما لم يذكره معاذ إلا عند موته؛ لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- لم يأذن له في ذلك ؛ لَمَّا خَشِيَ مِنْ تَنْزِيلِهِ غَيْرَ مَنْزِلَتِهِ ، وَعَلَّمَهُ مَعَاذًا لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهِ .

قال ابن حجر :

وقول عليّ فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة ، وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب ، والله أعلم.⁷⁰

وعند مسلم باب : " بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" ،

وقد أسند تحته قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه:

«مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ» .⁷¹
وعن أبي هريرة -رضى الله عنه- قال:

حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَيَّنْتُهُ فِي النَّاسِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَيَّنْتُهُ، لَفُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ.⁷²

⁶⁸ متفق عليه.

⁶⁹ ذكره البخاري معلقاً (127) ووصله مسنداً القاضي المحدث المهلب بن أبي صفرة التميمي

المالكي الأندلسي في " المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح" :

أَبَانًا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرْبُودَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ:

(حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكْذَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

⁷⁰ فتح الباري(330/1)

⁷¹ صحيح مسلم (107/1)

⁷² رواه البخاري(120)

وقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يبيته على الأحاديث التي فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم.

وقد كان أبو هريرة -رضى الله عنه- يكتفي عن بعضه، ولا يصرح به خوفا على نفسه منهم،

كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، لأنها

كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة، فمات قبلها بسنة.

وقال ابن المنير:

جعل بعضهم هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرا وباطنا،

وذلك الباطل، إنما حاصله الانحلال من الدين، وإنما أراد أبو هريرة بقوله: قطع، أي:

قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفظهم، وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث

وقال الذهبي - معلقاً على قول أبي هريرة -:
هذا دالٌّ على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرّك فتنة في الأصول أو الفروع،
أو المدح أو الذم، أما حديث يتعلّق بحلٍّ أو حرام فلا يجوز كتمانها بوجه⁷³.
ولمّا طعن بعض المغرضين في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكان من جملة
ما شنّوا به عليه أنه حدّث الناس بدقائق المسائل التي لا تتحملها عقولهم؛ ردّ
رحمه الله عن نفسه هذه الفرية قائلاً:

"وَأَمَّا قَوْلُ الْفَائِلِ: لَا يَتَعَرَّضُ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِهَا عِنْدَ الْعَوَامِّ: فَأَنَا مَا فَاتَحْتُ
عَامِّيًّا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قَطُّ" .⁷⁴

قال الشاطبي :

التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل مغزاه هو من باب وضع الحكمة غير
موضعها، فسامعها؛ إما أن يفهمها على غير وجهها، وهو الغالب، وهو فتنة تؤدي
إلى التكذيب بالحق، وإلى العمل بالباطل، وإما لا يفهم منها شيئاً، وهو أسلم، ولكن
المحدث لم يعط الحكمة حقها من الصون، بل صار التحدث بها كالعابث بنعمة الله،
ومقتضى الحكمة لا تعلّم الغرائب إلا بعد إحكام الأصول، وإلا دخلت الفتنة.⁷⁵

فالضابط الثالث هذا أهم هذه الضوابط؛ وذلك حسماً لمادة التشبيه التي نفتها أدلة
الكتاب والسنة والإجماع والنظر.

قال مالك بن أنس :

من وصف شيئاً من ذات الله مثل قوله {وقالت اليهود يد الله مغلولة} [المائدة: 64]
فأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله {وهو السميع البصير} [الشورى: 11] فأشار إلى
عينه وأذنه أو شيئاً من يديه قطع ذلك منه لأنه شبّه الله بنفسه.

ثم قال مالك:

أما سمعت قول البراء حين حدّث «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يضحى
بأربع من الضحايا وأشار البراء بيده كما أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - قال
البراء ويدي أقصر من يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -» فكره البراء أن

المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها.

قال القرطبي :

" قال علماؤنا : وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل إنما هو مما
يتعلق بأمر الفتن ، والنص على أعيان المرتدين ، والمنافقين ، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات
والهدى ، والله تعالى أعلم " انتهى. وانظر كوثر المعاني كشاف خبايا صحيح البخاري (76/4)
وفتح الباري(217/1)والجامع لأحكام القرآن " (186/2)

⁷³ سير أعلام النبلاء (597/2)

⁷⁴ مجموع الفتاوى (266 /5)

⁷⁵ الاعتصام (ص/272)

يصف يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إجلالا له وهو مخلوق فكيف الخالق
الذي ليس كمثلته شيء !!؟⁷⁶

وصلى الله على النبي وعلى آله وصحبه وسلم.

⁷⁶ الفتاوى الكبرى (416/6) و التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (351/3)